يعتبر التعليم الجامعي اللبنة الأولى لبناء المجتمع المعرفي المتطور ولا غرو فإن الجامعة هي المصدر المهم لنشر العلم والثقافة والتنوير بين أفراد المجتمع.

ولكي تؤدي الجامعة الدور المنوط بها على أكمل وجه لابد أن يعاد النظر في تشكيل رؤيتها وأهدافها وأولوياتها وضرورة تطوير هيكلها الإداري والتنظيمي، اضافة الى رفد كلياتها بهيئة تدريس على كفاءة عالية قادرة على العطاء والبذل وخلق جيل متعلم مثقف ملم بتخصصه.

الآن وبعد مرور ما يقارب من «3» عقود على تأسيس جامعة قطر هل استطاعت الجامعة ان تقوم بهذا الدور النبيل على أكمل وجه؟

ماهي جوانب القصور؟ وكيف يقيم الاختصاصيون مخرجات التعليم الجامعي؟

ما صحة الرأي القائل بأن بعض خريجي الجامعة غير ملمين بالتخصصات التي درسوها على مدى 4 سنوات؟

وغير قادرين في الوقت نفسه على التوافق مع متطلبات الوظيفة العامة، والتكيف معها والقيام بمهامها؟

بعد مرور 3 عقود على تأسيسها

بعض خريجي جامعة قطر يفتقرون للمهارات الأساسية في سوق العمل

تحقيق إبراهيم القديمي

د. شيخة المسند

د. عبدالحميد الأنصاري

وبنظرة فاحصة الى خريجي الجامعة يلاحظ ان البعض منهم اكتفوا بمحو أميتهم ولم يرتقوا الى مستوى لقب خريج الجامعة فعلى سبيل المثال هناك بعض خريجي اللغة العربية من يعجز عن إعراب جملة بسيطة وآخرون درسوا الثقافة الاسلامية وغير قادرين على ترتيل القرآن الكريم تجويدا واحكاما وهكذا دواليك وتشير الاحصاءات الصادرة عن جامعة قطر للأعوام الممتدة من 90-2000 الى ان 30٪ من كل دفعة لا تتمكن من التخرج وتترك الجامعة ولهذا فإن اعادة النظر في قضية التعليم الاستراتيجية أمر حتمي وقد أحست إدارة الجامعة حين أعلنت مؤخرا عن خطة طموحة لتطوير النظام التعليمي في هذه القلعة التعليمية وصولا الى الأهداف المنشودة.

في هذا الصدد ينفي الدكتور عبدالحميد الأنصاري عميد كلية الشريعة والقانون السابق بجامعة قطر الطرح القائل بأن جامعة قطر قد فشلت في تحقيق أهدافها التعليمية أو التنموية، ويضيف قائلا: بالنسبة لجامعة قطر فإن تقييم مستوى خريجيها أشبه بمن ينظر الى كأس نصفها مملوء بالماء ونصفها الآخر فارغ فمن ينظر الى الجزء المملوء يقول انها حققت اهدافها ومن ينظر الى الجزء الآخر يقول انها عكس ذلك.

ويستطرد د. الأنصاري قائلا: دعنا نكون منصفين وأقول ان الجامعة بعد مرور 30 سنة على انشائها خرجت الآلاف من الطلاب والطالبات ومؤلاء هم الذين يعملون في شتى مجالات تنمية المجتمع ويقودون خطط التنمية فلا يستطيع أحد ان يحكم على الجامعة بأنها فشلت في تحقيق أهدافها التعليمية أو التنموية لكن مع ذلك ألخص ملاحظاتي حول هذا الأمر في 3 نقاط هي:

– ان مناهج جامعة قطر بكل كلياتها مازالت تفتقد، ما نسميه، النظرة النقدية أو الروح إلنقدية بمعنى ان الجامعة وان خرجت طالبا مؤهلا للعمل إلا انها لم تستطع ان تخلق لدى الطالب العقلية النقدية المبدعة التي تستطيع ان تحلل وتكتشف وتطور وذلك بسبب أن الطابع الغالب أو الصيغة الغالبة سواء في المناهج أو اسلوب التدريس تقوم على جانب الحفظ والاستذكار فقط.

– ان جانبا من املخرجات الجامعية تفتقد بعض المهارات الاساسية في تخصصاتها فمثلا طالب خريج الشريعة لايحسن تلاوة القرآن الكريم وآخر يتخرج من اللغة العربية لايحسن مبادىء القراءة والكتابة الصحيحة، اضافة الى افتقار بعضهم الى مهارات البحث العلمي.

– ان الجامعة لم تستطع مواكبة سرعة المتغيرات في سوق العمل وبخاصة في مجالات المال والأعمال والاقتصاد والبنوك وقطاع الغاز والبتروكيماويات والاستثمارات ومن هنا حصلت فجوة بين متطلبات سوق العمل لخريج مؤهل بجيد اللغة الانجليزية ومهارات استخدام الحاسوب والاتصال وحتى نكون منصفين فإن الجامعة لا تتحمل وحدها المسؤولية فافتقاد الطالب المهارات الاساسية هي مسؤولية أولى للتعليم العام خلال 12 عاما من الدراسة الأولية.

وأضاف الدكتور الأنصاري: ايضا يجب ان نقول ان جامعة قطر كانت المؤسسة الوحيدة في قطر التي كانت تقيم برامجها كل «5» سنوات وتطور برامجها وتستحدث برامج جديدة ولكن كما أسلفت فقد كانت سرعة المتغيرات المجتمعية أكبر من سرعة تطوير البرامج الدراسية وهذا شيء طبيعي، خاصة ان المجتمع القطري شهد خلال السنوات الخمس الماضية طفرة هائلة في شتى المجالات لكن الآن يبدو لي ان هناك ادراكا كاملا عند القيادات الجامعية لهذا الأمر وبخاصة بعد حصول الجامعة على استقلالها المالي والإداري وهناك برامج جديدة قيد التطبيق أو جار تنفيذها ولا نستطيع ان نحكم عليها إلا بعد مرور فترة زمنية كافية وعلى ضوء مدى فاعلية الخريجين الجدد في سوق العمل، خاصة وقد يكون من المعوقات السابقة في عدم مواكبة الخطط الدراسية للمتغيرات المجتمعية هي عدم حصول الجامعة على استقلالها إلا مؤخرا.

> **الكثير من مؤسساتنا يتجاوز الكفاءات المقتدرة إلى من هو أدنى**

السلبيات

سألت الدكتور الانصاري عن جوانب القصور التي تلازم العملية التعليمية في جامعة قطر فأجاب: كان في السابق من أكبر السلبيات عدم الاستقلال وغياب المشاركة الجماعية لاعضاء هيئة التدريس في الجامعة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتطوير المناهج العملية التعليمية بصفة عامة سواء على مستوى القسم أو الكلية أو مجلس الجامعة وهذه العوامل تؤثر سلباً لأن من أهم شروط نجاح الخطط التطويرية ضمان المشاركة الفاعلة لطرفين اساسيين هي:

– المنفذون لهذه العملية وهم اعضاء هيئة التدريس.

– المستهدفون من هذه العملية وهم الطلاب، ولقد كانت جامعة قطر قبل الاستقلال المالي تعتمد اسلوب المشاورة العامة في كافة القرارات المتعلقة بها وليت الأمر يعود كما كان لان الرأي التشاوري الذي يشارك فيه أكبر عدد من الأفراد أفضل من الرأي الذي يفتقد هذه الميزة.

امتهام نوعي

وتشير دراسة للباحث خميس راشد الكعبي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة مانشستر البريطانية بعنوان «التعليم العالي والطموحات المهنية في اطار التنمي الاقتصادية لدولة قطر» الى انه على الرغم من التوسع في مجال التعليم العالي في قطر فإن هناك حاجة ملحة للاهتمام بالتعليم العالي خاصة في قضية معالجة احتياجات التنوع الاقتصادي للدولة بحيث يضمن التعليم العالي الكوادر القطرية المؤهلة للعمل في فرص العمل المتاحة في كافة المجالات.

وطالبت الدراسة بضرورة توعية الطلاب باحتياجات المجتمع للكوادر الوطنية المؤهلة والمتعلمة تعليماً جامعياً للعمل في القطاعات الاقتصادية المهمة كقطاع البترول والغاز مثلا.

وأشار الباحث في دراسته الى أن التعليم يجب ان يؤدي وظيفتين أساسيتين ومترابطتين في المجتمع هما:

– تطوير المواطنين من خلال تقديم المعرفة والمهارات الفردية التي تؤهلهم لاستيعاب التكنولوجيا الحديثة.

– المساهمة في قوة العمل التي تحتاج لها مؤسسات الدول للمساهمة بفاعلية في التنمية الاقتصادية.

شكاوى بالجملة

وكانت الدكتورة شيخة المسند رئيس جامعة قطر قد ذكرت في وقت سابق ان هناك شكاوى متزايدة من مستوى خريجي جامعة قطر تفيد بأن الخريجين لا يتلاءمون مع التغيرات المتسارعة مع احتياجات العمل، بل اصبح الخريج عبئا على الجانب الاقتصادي في بعض الاحيان وعائقا أمام عملية التنمية الشاملة التي تمر بها الدولة حاليا. وأكدت أن جامعة قطر اعتمدت مؤخراً لوائح أكاديمية وسياسات تنفيذية تقوم على تحديد حد أدنى من الالتزام بمعايير اكاديمية متعارف عليها عالميا فيما يتعلق بالرسوب والتخرج والانذار والفصل، منوهة الى أنه بدونها لايمكن الاعتراف بالبرامج الاكاديمية في الجامعة واعتمادها.

> **أنعدام معايير العدالة المجتمعية يدمر الحافز التعليمي للتفوق لدى الطالب**

> **الصيغة الغالبة لمناهجنا الدراسية تعتمد على الحفظ فقط!**

الحلول

مامي الطول الآنية

للخروج من هذه الاشكالية وايجاد جيل جامعي متعلم يحمل المسؤولية على كاهله في بناء الوطن؟ يلخص الدكتور عبدالحميد الأنصاري حلول هذه المشكلة فيقول: أتصور ان حل أي ضعف في العملية التعليمية على المستوى العام أو الجامعي تكمن في أمور ثلاثة هي: المدرس. الطالب. المنهج. واذا جئنا الى المدرس فجامعة قطر تتمتع بميزة نسبية وهي كونها تختار أفضل المدرسين من الجامعات المختلفة عبر مسابقة يتقدم اليها كل من يجد في نفسه الأهلية والكفاءة، ويتم الفرز والانتقاء عبر مراحل متعددة بدءا من القسم وانتهاء بالمقابلة الشخصية، ولذلك يفترض ان يكون معظم أساتذة جامعة قطر من ذوي الكفاءات الجيدة، فلا مشكلة في موضوع المدرس. واذا جئنا لمناهج جامعة قطر فكما سبق وذكرت أنها خاضعة لتقييم وتطوير مستمرين منذ نشأتها، وعلى سبيل المثال فإن مناهج كلية الشريعة تغيرت خلال 30 سنة خمس مرات، فلا إعتقد ان هناك مشكلة في المنهج وإن كنت أرى أنه لابد من إعادة النظر في بعض المقررات الدراسية الخاصة بالثقافة الإسلامية التي تدرس لجميع طلبة الجامعة فإنها وبالرغم من تطويرها فإنها مازالت بحاجة إلى التطوير، نظرا لعدم قدرتها على تحصين الطالب الحصانة الكافية. ويضيف الأنصاري: أما إذا جئنا للطالب وهو محور العملية التعليمية فإن الطالب القطري بوجه عام يفتقد الحافز الذاتي أو ما أسميه الحماسة القوية للتعليم واعتقد ان هذه ليست مسؤولية الطالب وحده بل هي مسؤولية مجتمعية بدءا من الأسرة والثقافة السائدة التي لا تعلي من شأن ذوي الكفاءات، بل إن مؤسساتنا في كثير من الحالات تتجاوز الكفاءات إلى من هو أقل كفاءة، وهذا من شأنه ان يجعل الطالب غير متحمس للتعلم والتميز والتفوق، فيكون كل همه الحصول على شهادة ولو بتقدير «مقبول»، حيث إنه لا فارق بين المتفوق وغير المتفوق بسبب انعدام وضعف معايير العدالة المجتمعية المتأثرة بالعادات والتقاليد والاعراف والقيم القبلية. وربما تكون من أسباب ضعف الحافز التعليمي للتفوق لدى الطالب القطري انه يعيش في مجتمع ميسور تتوافر فيه كل طلبات الطالب الضرورية والكمالية فلم العناء إذن؟!

يجب إعادة النظر في مقررات الثقافة الإسلامية المحصنة للطالب